مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث:٢٠٢٤/٢/٢٥ تاريخ قبول النشر:٢٠٢٤/٥/٢٢

قطب الدين مودود بن زنكي أمير الموصل (٥٤٤-٥٦٥هـ/١١٤٩_١١٦٩م) ونشاطِه السياسي

Qutb al-Din Mawdud bin Zengi, Prince of Mosul (544_565 AH / 1149_1169 AD) and his Political Aactivity

أ.م.د. صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفري

جامعة الموصل/مركز دراسات الموصل

Assist. Prof. Suhaib Hazim Abdul Alrazzaq Alghadanfary
Specialization: Abbasid history
University of Mosul/ Mosul Studies Center

Email: d.r.suhaib_algatanfari@uomosul.edu.iq
orcid :https://orcid.org/0000-0001-8573-908X

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, ©2020,Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ISSN. 1815-8854

الملخص:

يتناول البحث أميراً من أمراء الدولة الزنكية في مدينة الموصل هو الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وما قام بِهِ من نشاطٍ سياسي في المدينة حين تسلُّمِهِ حكمها، إذ كانت أبرز نشاطاته التغلب على الإشكالات والمكائد التي واجهتهُ في بداية ولايتِهِ من منافسيهِ من أهل المدينة، ومن صاحب سنجار الذي كان يكيد له خوفاً من حصولِهِ عليها، إلاّ أنه تغلب على كُل التحديات والمكائد التي واجهتهُ، وتمكن من إدارة المدينة والحفاظِ على علاقتِهِ الحسنة مع أخيهِ الملك العادل نور الدين محمود الذي حكم الشام وحلب وضمَّ مدناً عديدة خضعت لسيطرتِه، وشارك الأمير قطب الدين الملك نور الدين محمود في حملاتِهِ العسكرية ضد الغزو الصليبي، وبقيت الموصل في عهده مدينة قوية ذات مكانة سياسية وحضارية.

الكلمات المفتاحية : الموصل ، حلب ، نور الدين ، دمشق ، سنجار

Abstract

The research deals with one of the princes of the Zangid state in the city of Mosul, who is Prince Qutb al-Din Maudud bin Imad al-Din Zangi, and the political activity he carried out in the city when he took over its rule. And from the owner of Sinjar, who was plotting against him for fear of getting it, but he overcame all the challenges and machinations that faced him, and he was able to manage the city and maintain his good relationship with his brother, the just King Nur al-Din Mahmoud, who ruled the Levant and Aleppo and annexed many cities under his control, and he was the prince Qutb al-Din participates with King Nur al-Din Mahmoud in his military campaigns against the Crusader invasion, and during his reign Mosul remained a strong city with a political and cultural status.

key words: Mosul, Aleppo, Nur al-Din, Damascus, Sinjar.

ISSN. 1815-8854

المقدمة

لقد كانت الدراسات التي تناولت الأمير عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية في الموصل وولديهِ سيف الدين غازي الاول ونور الدين محمود قد أخذت استحقاقها في الجانب الأكاديمي والبحثي وذلك تبعاً لتعدد الدراسات التي كتبت عن الدولة الزنكية واتساع رقعتها وحملاتِها الحربية وتصديّها للحملات الصليبية التي جاءت من أوربا، إذ أن الأمراء اللذين ذُكِروا هم خيرَةُ أمراء الدولة الزنكية، وقد تعددت الدراساتُ عنهم سواء أكانت الدراسة عنهم شخصياً أم دراسة شاملة عن الدولة الزنكية وكان لهم الدور الأساسي فيها، ومن أهم تلك الدراسات كتاب عماد الدين زنكي للاستاذ عماد الدين خليل، والدولة الزنكية بعد عماد الدين زنكي للدكتور للاستاذ رشيد الجميلي، ونور الدين محمود سيرة مجاهد صادق للاستاذ حسين مؤنس، والدولة الزنكية ونجاح المشروع الاسلامي بقيادة نور الدين محمود للاستاذ علي محمد الصلابي، والحروب الصليبية والاسرة الزنكية للاستاذ شاكر أحمد ابو بدر، ورسالة ماجستير بعنوان(اتابكية الموصل في عهد سيف الدين غازي (٥٤١_٥٤٤هـ /١١٤٦_ ١١٤٩م) للباحثة نور ابراهيم توفيق، وغيرها كثير. أما الأمير الآخر فهو الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي الأبن الثالث لعماد الدين زنكي وشقيق كُلٍّ من سيف الدين غازي ونور الدين محمود وخليفة أخيهِ سيف الدين غازي في حكم الموصل، ومما لاشكَّ فيهِ أن الدراسات التي كتبت عنه بشكلٍ خاص نادرة بل معدومة، إذ لم يُكتب عنه كما كُتِبَ عن والدهِ وأخويهِ، كما كانت المعلوماتِ عنهُ نادرة لا سِيما المعلومات الخاصة بسيرتِهِ. مما جعل الباحث يواجه صعوبة في الحصولِ عليها. وأهم أهداف البحث:

١_ لم تكتب عنهُ دراسة أكاديمية خاصة بِهِ.

٢_كان من أمراء الدولة الزنكية الأقوياء وشهدت الموصل في عهدِهِ ازدهاراً كبيراً أسوةً بسلفِهِ سيف الدين غازي الأول.

قام البحث على مقدمة تمهيد محورين وخاتمة، اختص التمهيد للحديث عن ظروف قيام الدولة الزنكية في الموصل وحلب واتساعِ رقعتها شرقاً وغرباً، ومَن سبق الأمير قطب الدين مودود من أُمراءٍ حكموا الموصل. واشتمل المحور الأول على معلوماتٍ عن سيرتِهِ. وخص المحور الثاني النشاط السياسي للأمير قطب الدين مودود آبانَ حكمِهِ للموصل، واشتمل أيضاً على دور الموصل

ISSN. 1815-8854

في مساندة الشام عسكرياً في عهدِهِ وأثرها المهم في إحراز إنتصارات الجيوش الإسلامية على الحملات الصليبية. وتضمنت الخاتِمة استنتاجات الباحث وأهم نتائِج البحث.

تمهيد

قامت الدولة الزنكية في الموصل في العام(٥٢١هـ/١١٢٧م) على يد الأتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر(٥٢١_٥٤١هـ/ ١١٢٧_١١٤٧م) (ابن الأثير.١٩٦٣.ص١٥؛ خليل.١٩٧١م.ص٣١) ، إذ تمكن بعد إرساء قواعد دولته وحكمه للموصل من امتلاك مدنٍ أخرى ومنها حلب في العام (٥٢٢هـ/١١٢٨م) (ابن العديم. ١٩٦٨م.٢ : ٢٤٢) التي أصبحت عاصمته الغربية بعد أن كانت الموصل عاصمته الشرقية، وتولى عماد الدين زنكي مهمة مقاومة الحملات الصليبية، إذ شهد عهده نقلة نوعية في الجهاد ضد تلك الحملات (ابن الأثير. ١٩٦٣.ص ٤٧؛ كارين. ٢٠٠٥م. ص ٤٦).فضلاً عن ذلك تمكن من إرساءِ قواعِدِ دولتِهِ التي بدأت بالموصل والجزيرة الفراتية وحلب ثم امتدت شرقاَ وغرباً فتمكن من امتلاك المدن والحصون المحيطة بحلب (أبن الاثير. ١٩٦٣. ص ٧٤ ؛ ابن العديم. ١٩٦٨م. ٢ : ٢٨١). واستمر في تحريره للمدن والقلاع التي كانت قد وقعت تحت سيطرة الصليبيين ومنها قلعة جعبر التي استشهد في أثناء تحريرها في العام (٥٤١هـ/١١٤٦م) (أبن الاثير. ١٩٦٣. ص ٧٤). ثم تولى حكم الموصل بعده أبنُهُ الأمير سيف الدين غازي وهو اِبنه الأكبر وثاني أمراء الموصل في عهد الدولة الزنكية وهو من الزنكيين الشجعان الذين ساهموا في الحفاظ على وحدة الدولة الزنكية،(ابن الاثير.١٩٦٣. ص ٩٢؛سبط ابن الجوزي.٢٠١٣. ٢٠: ٣٨٨). وابنه الملك العادل نور الدين محمود تقي الملوك، ليث الاسلام أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي (ابن خلكان.١٩٦٩م. ٥: ١٨٤؛ الذهبي. ٢٠٠١م.٢٠ : ٥٣١؛ أبن القاضي شهبة. ١٩٧١م. ص١٥)الذي حكم حلب(أبن الاثير. ١٩٦٣. ص ٨٥؛ ابن واصل. ١٩٥٧م. ١ : ١١٠) .لذا بقيت أركان الدولة الزنكية ثابتة ولم يتمكن أعدائها ومنافسوها من احتلال أراضيها التي امتلكتها في عهد الأمير عماد الدين زنكي، وبقيت العلاقة طيبة بين الأخوين سيف الدين ونور الدين فضلاً عن التعاون بينهما في حماية الدولة الزنكية بدأً من استعادة الرها وهي مدينة من مدن الجزيرة الفراتية، تقع بين الموصل والشام، سميت بهذا الاسم نسبةً إلى بانيها الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر (الحموي.د.ت. ٣: ١٢٠)والتي أقدم جوسلين الثاني(٥٢٦ _٥٣٩هـ /١١٣١_١١٤٤م) وهو من الأُمراء الصليبيين الذين ولدوا في المشرق(أبن

ISSN. 1815-8854

الاثير. ١٩٦٣م.ص١٨. ١٠١. ١٠٤؛آل فتاح. ٢٠١٠م. م١١، ع٤: ٦٢)على السيطرة عليها فور استشهاد الأمير عماد الدين زنكي لأنه يجهل شجاعة ولديه الأميرين سيف الدين ونور الدين، الذين اتحدا وأعاداها إلى حظيرة الدولة الزنكية(ابن القلانسي. د.ت. ص٢٨٨؛ ابن الاثير. ١٩٦٣.ص٨٦ ؛ابن الأثير. ١٩٨٧م. ٩: ٣٤٢؛العسلي. ١٩٨٧م. ص ٧٢). . بعدها استمر التعاون العسكري بينهما لذا تمكنا من تحرير المدن والقلاع (أبن القلانسي. د.ت. ص ٣٠٧).حتى وفاة الأمير سيف الدين غازي في العام (٥٤٤هـ /١١٥٠م)(أبن الأثير. ١٩٦٣.ص ٩٠_٩٢).

أولاً_ سيرته.

هو مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر(ابن خلكان. ١٩٦٩م. ٥: ٣٠٢). ولد في الموصل في العام (٥٢٥هـ / ١١٣٠م)(أبن الأثير. ١٩٦٣. ص١٤٦)،لقبه قطب الدين أسوةً بغيرِهِ من أمراء الدولة الزنكية (أبن الاثير.١٩٦٣م. ص ٩٤ ، ١٤٦) الذين تلقبوا بألقابٍ تدلُّ على اعتزازهم بدين الإسلام. يذكر ابن خلكان (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م) أنه كان يلقب بالأعرج إلاّ أنه لم يذكر السبب لذلك(١٩٦٩م. ٥: ٣٠٢). وبعد وفاة أخيه سيف الدين غازي أصبح أميراً للموصل بناءً على وصيته(أبن الأثير.١٩٦٣.ص٩٤. ١٦٤؛ ابن خلكان. ١٩٦٩. ٥: ٣٠٣). إذ كان عادلاً في حكمه حسن السيرة، وإنما هو من أحسن الحكّامِ سيرةً (ابن خلكان.١٩٦٩م. ٥: ٣٠٢)،محسنا لرعيته، كثير الإنعام عليهم، محبوبا إلى كبيرهم وصغيرهم، كريم الأخلاق، حسن الصحبة(ابن الاثير. ١٩٦٣. ص٩٤)، واسع الكرم(ابن الأثير. ١٩٦٣. ص١٥٠). تزوج في العام(٥٤٤هـ /١١٤٩م) من الخاتون ابنة حسام االدين تمرتاش الأرتقي(٥١٨_٥٢١ هـ /١١٢٤_١١٢٧م) حاكم حلب الاسبق، بعد أن تزوج بها أخوه سيف الدين غازي ولكنه توفي قبل أن يدخل بها فتزوجها هو، فأنجبت اولاده سيف الدين غازي الثاني(٥٦٥_٥٧٦هـ/ ١١٧٠_١١٨١م)، وعز الدين مسعود(٥٧٦_٥٨٩هـ/١١٧٠_١١٩٣م)(أبن الأثير. ١٩٦٣. ص١٨٥ . ١٩٤؛ ابن الاثير. ١٩٨٧م. ٩: ٣٦٠) الذين خلفوهُ في حكم الموصل إذ خلفه سيف الدين غازي في حكم الموصل(أبن الأثير. ١٩٨٧م. ١٠: ٣١) ، وعز الدين مسعود في حكم الموصل(أبن الأثير. ١٩٨٧م، ١٠ : ١٠٠_ ١٠١) وحلب(ابن الاثير.١٩٦٣.ص١٧٧؛ ابن العديم. ١٩٦٨م. ٣ : ٤٨)، وعماد الدين الثاني(٥٦٥_٥٩٤هـ/١١٧٠_١١٩٨م) وهو الأكبر من إخوتِهِ، والذي رشّح لمنصب أمير الموصل بعد والده، إلاّ أنه وبتأثيرٍ من زوجتِهِ ونائِبِهِ فخر الدين

ISSN. 1815-8854

عبد المسيح أبدلَهُ بإبنِهِ الثاني سيف الدين غازي(الغضنفري. ٢٠٢٢م. ص ٧٨)، لذا تولى حكم سنجار من بعده(ابن تغري بردي. ١٩٦١م. ٤: ٢٦). توفي الأمير قطب الدين مودود في (شوال من العام ٥٦٥هـ / تموز ١١٧٠م)، وعمره أربعون عاما(ابن خلكان، ١٩٦٩م، ٥: ٣٠٣).

ثانياً_نشاطه السياسي.

١_قطب الدين مودود أميراً للموصل.

بعد وفاة أمير الموصل سيف الدين غازي كان قطب الدين مودود هو الأنسب لخلافتهِ، وتم ذلك فعلاً(أبن الأثير.١٩٦٣م. ص٩٤) وكما سبق ذكره، وقد بقي معظم رجالات الدولة الزنكية في عهد الأمير عماد الدين زنكي أنفُسهم في عهد الأمير قطب الدين مودود وأبرزهم زين الدين علي كوجك(ت٥٦٣هـ /١١٧١ م) نائب قلعة الموصل منذ عهد الأمير عماد الدين وبقي في عهدي الأمير سيف الدين غازي ومن بعده الأمير قطب الدين مودود حتى العامين الأخيرين من حكمه نائباً لقلعة الموصل(أبن الأثير.١٩٦. ص٨٦)، والوزير جمال الدين الأصفهاني، إذ كان وزيراً للأمير عماد الدين زنكي وحتى عهد الأمير قطب الدين مودود وهو من خيرة رجال الدولة، وكان له الفضل في ولاية الأمير قطب الدين لإمارة الموصل،(ابن الاثير.١٩٦٣. ص ٨٤ _ ٨٦؛ عباس. ٢٠٠٦م. ع١١ :ص٢)وقد عملا على مساندة الأمير قطب الدين في تنصيبه أميراً للموصل وفي أزماتٍ سياسية أخرى وكما سيرد في البحث. لقد كانت أعوام حكم الأمير قطب الدين للموصل هي الأطول بعد أعوامِ حكم أخيهِ الملك نور الدين محمود التي كانت قد بلغت ثمانٍ وعشرين عاماً، في حين بلغت أعوام حكمه إحدى وعشرين عاماً وكانت مليئةً بانجازاتٍ مهمة في تاريخ الدولة الزنكية في الموصل(أبن الأثير.١٩٦٣. ص١٤٦_١٤٧).

كان حكم الأمير قطب الدين مودود(٥٤٤_٥٦٥هـ/١١٥٠_١١٧٠م) معاصراً لحكم أخيه الملك العادل نور الدين محمود(٥٤١_٥٦٩هـ/١١٤٧_١١٧٤م)، ولا يوجد ما يشوب العلاقات الشخصية بين الأخوين نور الدين محمود وقطب لدين مودود، إلاّ أن العلاقات الجانبية لبعض أمراء المدن التي كانت تحت سيطرة الدولة الزنكية معهما كان لها الأثر في تعكير العلاقات بينهما بعض الشيء من دون التأثير عليها جوهرياً، وكان ذلك من خلال قضية سنجار(٥٤٤هـ/١١٥٠م) وهي إحدى المدن لتابعة للدولة الزنكية التي تتوسط في موقعها مدينتي الموصل حلب، فكاد أمر حكمها أن يثيرَ خلافاً بين الموصل وحلب أبان حكم الأمير قطب الدين للموصل، ولكن بتأثيرٍ من

ISSN. 1815-8854

صاحب سنجار آنذاك وهو عز الدين عبد ال ملك المقدم، وهو أحد الجندارية استخلفه الأمير سيف الدين غازي على سنجار عز الدين عبد الملك المقدم استخلفه سيف الدين غازي في سنجار، وهو احد الجندارية الذين كانوا في خدمة السلطان السلجوقي مسعود، وورثه في منصبه في سنجار ابنه شمس الدين المقرب من سيف الدين غازي(ابن الاثير. ١٩٦٣م.ص ٩٧؛ ابن العديم. ١٩٦٨. ٢ : ٢١٥)، ثم خلفه أبنه شمس الدين بن المقدم على سنجار، وكان ينتهج نفس نهج أبيه تجاه الأمير قطب الدين مودود، (ابن الأثير، ١٩٦٣م، ص ٩٧؛ الغضنفري. ٢٠٢٢م. ص٧٥)،إذ لم يكن لأبن المقدم ولاءٌ للأمير قطب الدين مودود و كان لسيف الدين غازي، فأشار على الملك نور الدين محمود بالقدومِ إلى سنجار وامتلاكها وفعلاً قدم إليها وامتلكها(ابن واصل.١٩٥٧م.ص ١١٦_١١٩)، وقصد الأمير قطب الدين مودود سنجار أيضاً ومعه مستشارَيهِ الوزير جمال الدين الأصفهاني، ونائب قلعة الموصل زين الدين علي كوجك بن بكتكين اللّذين أشارا عليه بدورهما أن يمتلك سنجار، وعسكروا في تلعفر وهي قلعة بين الموصل وسنجار في وسطِ وادٍ فيهِ نهرٌ جارٍ وفيها نخلٌ كثير(الحموي. د.ت.٢: ٤٦) ووجهوا إنذاراً إلى نور الدين محمود طالبين منه الرجوعِ عن سنجار أو التعامل معه بالقوة (ابن الاثير. ١٩٦٣م. ص٩٧) إلاّ أنه لم يأبه لتحذيرهم بل ذكر لهم أنه الأكبر سناً مما يجعله الأَولى بحكم المدينة، وأنه بذلك يلبي إرادة الموصليين الذين لا يريدون تدخل الوزير الأصفهاني والنائب كوجك في هذا الأمر(ابن الأثير.١٩٦٣. ص٩٦؛ طقوش.١٩٩٩م. ص ١٧٨). وتبادل الطرفان المراسلات للتفاوض حول إدارة سنجار، إلا أن الوزير جمال الدين الأصفهاني بما عُرِف عنه من الحكمة(ابن الأثير.١٩٨٧م .٩ :٤٧٠_٤٧١؛ عباس. وزير اتابكة الموصل.ع٢ :١١) إذ وجد انّه ليس من الصحيح محاربة الملك نور الدين محمود، لأنه وبعد استشهاد الأمير عمادِ الدين زنكي قد ارتفعت مكانته عند السلطان السلجوقي مسعود بن محمد (٥٢٧_٥٤٧هـ /١١٣٢_١١٥٢م) ، فضلا عن أن الصليبيين كانوا يهابونه في وقت كان الخطـر الصليبي يحيط بأراضي المسلمين في الشام والجزيرة(أبن الاثير. الكامل. ٩ : ٣٦٠). لذا كان الأمير قطب الدين مودود على استعدادٍ للتفاوض معه فتم ذلك على أن تصبح سنجار تحت حكم قطب الدين لقربها من الموصل، مقابل أن تصبح حمص وهي بلدة مشهورة على تلٍ عالٍ تقعُ بين دمشق وحلب، وفيها قلعةً حصينة،(الحموي. د.ت.٢: ٣٤٧).والرحبة وهي مدينة من أعمال حلب، تتوسط حلب ودمشق وبغداد، وتقع على نهر الفرات (الحموي. د.ت. ٣: ٣٨).

ISSN. 1815-8854

والرقة وهي مدينة من مدن الجزيرة الفراتية، تقع على الجانب الشرقي من الفرات، وهي تتوسط المسافة بين الموصل وحلب، (الحموي، د.ت ٣: ٦٧) تحت حكم الملك نور الدين فضلاً عن أخذ الملك نور الدين بعض الأموال من خزائن سنجار(أبن الاثير، ١٩٦٣م، ص٩٢؛ أبن العديم ، ١٩٦٨م،٢ :٢٩٦). وساهم جمال الدين الأصفهاني في إقامة الصلح بين الاخوين، إذ قام بتقديم النصيحة للأمير قطب الدين بالتنازل عن حمص والرحبة والرقة للملك نور الدين، مقابل رحيل الثاني عن سنجار لكونها الأقرب إلى الموصل وأنها أهم معاقل الجزيرة تأثيرا على الموصل(أبن الأثير.١٩٦٣.ص ٩٨ ؛ الجميلي.١٩٧٠م. ص ٨٤)، و استجاب قطب الدين لنصيحة الوزير جمال الدين من دون تردد، لمكانته العالية لديه، وأوكل جمال الدين بمفاوضة نور الدين حول سنجار فتم الأتفاق بين الطرفين وعاد الملك نور الدين إلى حلب وصحب معه جمال الدين الأصفهاني احتراماً ومكافأةً له ومنحه مبلغ عشرة الاف دينار سنويا يقبضها نائبه و يفتدي بها أسرى المسلمين لدى الصليبيين(ابن الاثير. ١٩٦٣م. ص ٩٧؛ طقوش. ١٩٩٩م.ص ٨٤). وطلب منه البقاء لديهِ، لكنه قال له:" **أنت فيك من الكفاية ما يستغنى به عن وزيرٍ ومشير، وليس عندك من الأعداء مثل ما عند أخيك**"(أبن الأثير.١٩٦٣م.ص٩٧).فوافقه على ذلك"(أبن الأثير.١٩٦٣م.ص٩٧).وقام الأمير قطب الدين مودود بإقطاع سنجار لزين الدين علي كوجك لكفاءتهِ وإخلاصِهِ وثقتِه بهِ وقدرته على إدارتها(ابن العديم. زبدة الحلب.٢ :٢٩٦). وبقيت العلاقات بين الأمير قطب الدين مودود وأخيهِ الملك نور الدين محمود حميمة لا تشوبها شائبة. لسببين هما:

الأول_ شجاعة الأميرين وحرصهما على الحفاظ على الدولة التي أسسها والدهما.

الثاني_ الملك نور الدين محمود والأمير قطب الدين مودود كانا من الجيل الأول من الزنكيين(الغضنفري. ٢٠٢٢م.ص٧٦). وهم النخبة من الأمراء الزنكيين الذين اتسموا بالشجاعة واتسمت عهودهم بالأزدهار والقوة، وكانت تحكم الشام فضلاً عن الموصل،وحلب ولم تحدث بينهم خلافات سياسية كبرى تهدد مستقبل الدولة الزنكية(الغضنفري.٢٠٢٢م. ص١٤٠، ١٤٦).واستقامت الأمور بين نور الدين محمود وقطب الدين مودود ولم يعد هناك خلافٌ يذكر بينهما، وقد كانت الأموال التي حصل عليها الملك نور الدين محمود من سنجار وسيلةً من الوسائل التي استعان بها في حملاته العسكرية ضدالحملات الصليبية(التكريتي.د.ت.ص٤٩؛ طقوش.١٩٩٩م. ص١٨٠).

ISSN. 1815-8854

عاشت الموصل في عهد الأمير قطب الدين مودود حياةً كريمة لا تقلُّ شأناً عنها في عهدَي والده عماد الدين زنكي(ابن الأثير.١٩٦٣م. ص٧٧_٧٨) وأخيهِ سيف الدين غازي(ابن الأثير.١٩٦٣م.ص ٩٢_٩٣). إلاّ أن ما يميز عهده عن عهديهما أن نشاطاته العسكرية لم تكن كما كانت في عهدهما، ولا سيما أن سيف الدين غازي كان يساند الملك نور الدين محمود في حملاته العسكرية(ابن القلانسي.د.ت. ص٢٨٨) لكن النشاطات العسكرية في عهد الأمير قطب الدين مودود تأخرت لِما يقرب العقد من الزمان لانشغاله بإدارة الموصل وترتيب أمورها،ومن ذلك:

_حرصه على المحافظة على الوضع السياسي في المدينة وعدم السماح لشمس الدين بن المقدم بمحاولة أخرى للإيقاع بينه وبين الملك نور الدين محمود(ابن الأثير. ١٩٦٣م.ص٩٨).

_ إنشغاله بنشاطاته السياسية الخاصة بالمدينة وما يتعلق بمساعديهِ ومستشاريهِ،ومن ذلك:

محاصرتِهِ لجزيرة أبن عمر في العام (٥٥٢هـ /١١٥٧م) (ابن الاثير.١٩٦٣م. ص٣٦).وهي بلدة فوق الموصل، يحيطُ بها دجلة من ثلاثِ جهات ، وفيها مساحةٌ خصبة واسعة، بناها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي(البغدادي. ١٩٩٢م.١: ٣٣٣)، إذ أقطعها الأمير سيف الدين غازي لأبي بكر عز الدين بن عبد الله الدبيسي وهو قائدٌ من أعيان قادة الأمير عماد الدين زنكي ، ومن شجعانِهِ ومن أصحاب المكانة لديهِ، وبعد وفاتهِ تولي إمارة الموصل من قبل الأمير سيف الدين غازي، وبقيت مكانته ذاتها لديه (ابن الأثير. ١٩٦٣. ص١١٣) وبعد وفاة الدبيسي أراد الأمير قطب الدين مودود استعادتها من أحد المماليك الذي استفحل أمره بعد وفاة سيده الدبيسي وسيطر عليها بمساعدة أعوانِهِ، فتمسك بها إلاّ أن المملوك تخلى عنها للأمير قطب الدين مقابل إقطاعاتٍ أخرى(ابن الأثير.١٩٦٣م. ص ١١٢_١١٣).

وعلى الرغم من أن الموصل بعيدة عن خطوط المواجهة مع القوات الصليبية إلا أن الامير قطب الدين قام بمساعدة الملك نور الدين محمود، يعني أنه وعلى الرغم من الحملات العسكرية التي لم يشترك فيها، لكنه أغنى نور الدين عن أوضاع الجزء الشرقي من الدولة الزنكية، والمشكلات بين الخلافة العباسية والسلاجقة، مما كان له دورٌ كبير في تفرغ الملك نور الدين محمود لمواجهة الصليبيين(الفتاح. ٢٠١١م. ص ١٠٦) قبل أن يبدأ دوره في مساندة حلب من الجانب العسكري.

ISSN. 1815-8854

_موقفه من السلاجقة: اتسم موقف الأمير قطب الدين مودود من السلاجقة بالتعاون معهم، وأحياناً يكون هذا التعاون على حساب الولاء للخلافة العباسية لكونها السلطة الدينية والإدارية العليا في الدولة العربية الإسلامية، إذ قام الأمير قطب الدين مودود ونائبُهُ زين الدين علي كوجك في العام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، بالتحالف مع السلطان السلجوقي محمد بن السلطان محمود(٥٤٨_٥٥٥هـ /١١٥٣_١١٦٠م)ضد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله(٥٣٠_٥٥٥هـ/١١٣٥_١١٦٠م)، لأن السلطان طلب من الخليفة أن يخطب له في بغداد والعراق، فأبى الخليفة ذلك، فقاموا بفرض الحصار على بغداد(أبن الأثير. الباهر. ص١١٣) ، مما أعاق قطب الدين عن مساندة الملك نور الدين محمود في جهاده ضد الصليبيين في الشام، فضلاً عن أنه امتلك دمشق وأصبحت تحت حكمِهِ في العام(٥٤٩هـ/١١٥٥م)(ابن الأثير.١٩٦٣م. ص ١٠٦).

_ الدور العسكري للموصل في عهده.

بعد أن كانت الموصل في عهد الأمير قطب الدين مودود بعيدةً عن النشاط العسكري للزنكيين خلال الأعوام(٥٤٤_٥٥٤هـ/١١٥٠_١١٥٩م)، لدوافعٍ تم ذكرها، بدأت الموصل بعد زوالِ تلك الدوافع بمساندة الشام في نشاطاتها العسكرية ضد الحملات الصليبية، فبعد اشتداد التحديات من قبل الصليبيين ضد المسلمين، ولا سيما بعد تحالف الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين(٥٣٨_/١١٤٣_٥٧٦_١١٨٠م) وأمير انطاكيا رينالد شاتيون(٥٤٨_٥٨٣هـ /١١٥٣_١١٨٧م) وبلدوين الثالث(٥٣٧_٥٥٧هـ /١١٤٣_١١٦٢م) ملك المملكة الصليبية في القدس وحينما علم الملك نور الدين محمود بنوايا الصليبيين لمهاجمة الأراضي العربية في ربيع الاول من العام (٥٥٤هـ/شباط ١١٥٩م)، أعد العدة وتحرك بجيشه الى حمص وحماه وشيزر(ابن القلانسي. د.ت. ص٣٥٦). فقرر الأمير قطب الدين مودود مساندة الملك نور الدين محمود في حملاتِهِ الجهادية ضد الغزاة، إذ قام بقيادة قوات الموصل والسير نحو حلب في جمادى الاول من العام(٥٥٤هـ/آيار١١٥٩م)لاسنادها في مواجهة الروم والصليبيين، ومعهم قواتٍ أخرى، اذ يقول ابن القلانسي(ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): " بتواصل الأُمراء المقدمين ولاة الاعمال المجاهدة"(د.ت. ص ٣٥٧).

لقد كان لقدوم قوات الموصل أهمية كبيرة بالنسبة لقوات حلب، كي يصبح عدد المسلمين، متكافئا مع أعداد الصليبيين المجتمعة من جهة، ولأهمية قوات الموصل نوعا وكما منذ تأسيسها من

ISSN. 1815-8854

جهة أخرى، فبادر نور الدين الى طلب الهدنة، فطلب من مانويل كومنين ملك الروم عقد هدنة بعد أن علم بمسيره وحلفائه من الصليبيين الى حلب(ابن القلانسي.د.ت. ص٣٥٧؛ الغضنفري. ٢٠٢٢.ص١٣٨) ومما سهل له أمر الهدنة حاجة ملك الروم لديه، اذ التمس منه إطلاق سراح مقدمي الصليبيين المقيمين في أسره، فحقق له الملك نور الدين محمود ذلك، فقام ملك الروم بإرسال الهدايا من الجواهر الثمينة وخيمة من الديباج والخيول المحلية الى نور الدين ابتهاجا بعودة المقدمين الأسرى الى صفوف قواته(أبن القلانسي.د.ت.ص ٣٥٧). مما يؤكد أن الصليبيين كانوا بحاجة الى مقدميهم لتعزيز قواتهم. أما من جانبه فقد نجح نور الدين في مشاغلة التحالف الصليبي، بهذه الهدنة لحين وصول قوات الموصل، وذكرت المصادر الاولية هذه المعلومات لحين قيام الهدنة وإطلاق سراح المقدمين، إلا انها لم تذكر تفاصيل عما جرى بعد ذلك، وهل جرت اشتباكات أجبرت القوات الصليبية على الانسحاب ام لا؟، وأعقبت هذه المصادر مباشرةً بخبر الوليمة التي صنعها الملك نور الدين محمود لأخيه قطب الدين مودود ومن صاحَبَه من ولاة ومقدمين للجهاد في حلب في جمادى الاول من العام(٥٥٤هـ/حزيران من العام ١١٥٩م)(الغضنفري. ٢٠٢٢م.ص١٣٨)، إذ ذكر أابن القلانسي في النص التالي: " وورد الخبر بان الملك نور الدين أعدَّ لقطب الدين ولعسكره ولمن ورد معه من المقدمين والولاة وأصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج في يوم الجمعة السابع عشر من السنة سماطا عظيما هائلا تناهى فيه، وفرق من الحصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير ومن الخلع من أنواع الديباج المختلف وغيره والصحون الذهب الشيء الكثير الزائد على الكثرة، وكان يوما مشهودا في الحسن والتجمل"(د.ت.ص٣٥٧). ، فمن الواضح أن الوليمة كانت بمثابة المكافأة على نصرٍ قد حصل بالتعاون بين قوات الموصل والشام. و كان مردود هذا الاحتفاء تعزيز العلاقات بين الاثنين، والاستمـــرار بتعاونهما العسكري للدفاع عن الشام من الأطماع الصليبية، كما أن هذه المبادرة من الموصل ساهمت في تشكيل حلف ثلاثي يضم الموصل وحلب ودمشق في عهدي قطب الدين ونور الدين، نجح في صد الغزو الصليبي عن بلاد الشام، واستمرت الموصل في دعم الملك نور الدين محمود عسكريا كلما دعت الحاجة الى ذلك(الغضنفري. ٢٠٢٢م. ص١٤٠).

ومن المعارك الأخرى التي ساندت فيها الموصل الشام هي فتح حصن حارم، فهو من أمنع الحصون في الشام، وله أهمية للطرف الذي يتحصن به، إذ كان عائقا في وجه المسلمين في

ISSN. 1815-8854

حملاتِهِم العسكري(ابن الأثير. الباهر. ص١٠٩)، كما تكمن أهميته في أنه الحد الفاصل بين حلب وأنطاكية،إذ تعدُّ حلب وأعمالها من أكثر المدن قرباً من خطوط المواجه بين المسلمين والصليبيين(ابن الاثير.١٩٦٣م.ص١٥؛ أبن واصل، ١٩٥٧م، ١: ٣٦). إذ تبعد عنه عشرة أميال غرباً،فالميل يساوي ثلاثة آلاف ذراع(ابو الفداء. د.ت. ص١٥). وحارم من الحصون التابعة آنذاك لإمارة انطاكية وتحت حكم بيلمند(ابن الاثير. ١٩٦٣م. ص٩٨ _ ١٠٩) . وكانت هناك محاولاتٌ عديدة من قبل الملك نور الدين محمود لفتح ذلك الحصن، أولها في العام (٥٤٤هـ/١١٥٠م)،اذ قام بتخريبه، ثم مغادرته إلى حصن انب(وهو من أعمال عزاز في حلب(الحموي.د.ت. ١: ٣٠٦).وحاصره فوراً(ابن الأثير.١٩٦٣م. ص٩٩). وشن في العام(٥٥١هـ / ١١٥٦م) هجوماً آخر على حارم(ابن الاثير.١٩٦٣م.ص ١٠٩)، إلا أن الصليبيين كانوا يعلمون عدم قدرتهم على مواجهته في تلك المعركة لقوّتهِ، وأن امكاناتهم القتالية كانت ضعيفة، وخير دليل على ذلك أن بيمند وهو ابن البرنس صاحب أنطاكيا، بعد مقتل والده البرنس بقي مع أمهِ في أنطاكيا، فتزوجت ببرنسٍ آخر، فاقام معها بانطاكية يدير الجيش ويقودهم ويقاتل بهم الى ان بلغ بيمند أشدهُ، وأخذ محل والده، ولُقِب بالبرنس الثالث(ابن الأثير. ١٩٦٣م. ص٩٩؛ ابن واصل. ١٩٥٧م. ١ :١٢١) أشار اليهم بيمند بالتروي وعدم اللجوء إلى الحرب، لأنهم لو حاربوا نور الدين لانهزموا أمامه وتركوا له حارم، وأشار أبن الأثير إلى ذلك من خلالِ قولِه :"ان لقيتموه هزمكم وأخذ حارم وغيرها، وإن حفظتم أنفسكم منه اطقنا الامتناع عليه"(ابن الأثير.١٩٦٣م. ص ١٠٩). لذا فاوضوه على إعطائه نصف أعمالِ حارم، فوافق وعدل عن السيطرة عليه(ابن الاثير. ١٩٦٣م. ص ١٠٩).

أما عن دور قوات الموصل في فتح حارم،فقد أراد نور الدين محمود في العام(٥٥٩هـ /١١٦٤م)شن حملة واسعة وحاسمة ضد الصليبيين، للاستيلاء على حصن حارم، وكانوا قد قاموا بتشكيل تحالفٍ رباعي مكون من بيمند الثالث(٥٨٣_٥٩٧هـ/١١٤٤_١٢٠١م) الذي عُرف بـ (البرنس) حاكم انطاكية وريموند الثالث صاحب طرابلس(٥٣٤_٥٨٣هـ/١١٤٠_١١٨٧م) وأعمالها وعُرف بـ (القمص) ، وابن جوسلين(وهو ابن جوسي ندي كونتاي المعروف بجوسلين الاول،وكان من مشاهير الامراء الصليبيين الذين ولدوا في المشرق، وحكم الرها للاعوام٥٢٦_٥٣٩هـ/١١٣١_١١٤٤م، ثم اتخذ من قلعة باشر قاعدة له حتى اسره نور الدين محمود في العام ٥٤٥هـ/١١٥٠م،(ابن الاثير. ١٩٦٣م.ص١٨، ١٠١ ، ١٠٤)، و مقدم الروم

ISSN. 1815-8854

كبير المعروف بالدوق، لغرض التصدي لنور الدين محمود وجيشه فكانت أعدادهم كبيرة(ابن قاضي شهبة. ١٩٧١م.ص١٦٧). ومعهم جماعات من الاسبتارية : وهم: طائفة من الفرسان الدينيين الذين سكنوا ديراً في بيت المقدس، كان بجواره مشفى، قبل زمن الحروب الصليبية لايواء الحجاج النصارى ومعالجة مرضاهم، تطوع هؤلاء للقتال عند قيام الحروب الصليبية ضد المسلمين ولنشر المسيحية من جهةٍ أُخرى، و سمي الفرنسيين منهم بفرسان المعبد، لأنهم سكنوا مكان الصخرة بالمعبد،وكان تاريخها غامضا لهم(ابن الفرات. ١٩٦٩م ، ٢ :٣٨؛ الصوري.١٩٩٠م، ٢: ٨٣٠، ٨٣٤ ؛ عاشور. ١٩٧١م. ١: ٥٠٠). ، فضلاً عن حليفٍ خامسٍ انضم اليهم وهو قسطنطين كالامانوس(ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٣م) حاكم قلقيلية البيزنطي في هذه المرحلة(عمران. ١٩٨٧م. ع٨ : ٩٠؛ الغضنفري.٢٠٢٢م. ص١٤١). فأراد نور الدين محاربتهم في الشام للتضيق عليهم ومنعهم من مساعدة عموري الأول (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م)، ملك بيت المقدس(ابن الاثير.١٩٦٣م. ص ١١٩_١٢٠ ، ١٣٧)، لذا شهدت تلك المرحلة تنافساً شديدا بين الملك نور الدين محمود وعموري للحصول على مصر، على أثرِ ضعف الدولة الفاطمية في مصر(عمران. ١٩٨٧م. ص ٩٢).

كل ما تقدم دعا الملك نور الدين محمود إلى يرسل إلى الأمير قطب الدين مودود يطلب منه المساعدة، فضلاً عن فخر الدين قرا أرسلان(٥٣٨_٥٦١هـ/١١٤٤_١١٦٦م)صاحب حصن كيفا، ونجم الدين ألبي(٥٤٧_٥٧٢هـ/١١٥٢_١١٧٦م) صاحب ماردين وغيرهم من أُمراء الاطراف يطلبهم، فسار الجميع وأولهم الأمير قطب الدين مودود ومعه نائبِه وأميرِ جيشه زين الدين كوجك، فاجتمعوا ثم توجهوا إلى حارم بقيادة الملك نور الدين محمود، فتمت محاصرة حصن حارم وأحيط بالمنجنيقات(ابن الأثير.١٩٨٧م. ٩: ٤٦٨).

ومن جانبٍ آخر جاء الغزاة بكامل عددهم وعدتهم، وعلى رأسهم قادتهم(ابن الأثير.١٩٨٧م. ٩ : ٤٦٨)، ونزلوا في موقع يدعى عم وهي: قرية غناء ذات عيون جارية وأشجاركثيفة متقاربة، تقع بين حلب وأنطاكية(البغدادي. ١٩٩٢م.٢: ٩٦٢)، إلا أنهم وعلى الرغم من تكامل أعدادهم وعدتهم، كانوا يتهيبون من لقاء الملك نور الدين محمود، لعلمهم بشجاعتِهِ، من خلال معارِكِهم السابقة معه(ابن الاثير. ١٩٦٣م.ص ٨٧؛ ابن القلانسي. د.ت.ص٢٨٨؛ الغضنفري. ٢٠٢٢م. ص١٢٦_١٢٧).

ISSN. 1815-8854

لقد أرادت قوات الموصل والشام إتِّباع خطة عسكرية محكمة لدحر أعدائها، فبعد أن تأكد الملك نور الدين محمود من عزم الصليبيين على القتال واقترابهم من حارم، سحب جيشه ورحل عنها متجها إلى أرتاخ وهو : حصن منيع من اعمال حلب(الحموي. د.ت. ١ : ١٧٦)، كي يتبعوه، لإبعادهم عن قواعدهم وطرق الإمدادات، وفعلا تبعوه في بادئ الامر إلا أنهم علموا بعجزهم عن لقائه، فعادوا باتجاه حارم، فعاد بجيشه ورائهم(ابن الاثير.١٩٨٧م.٩: ٤٦٨). وبعد ذلك اصطف الطرفان للقتال، فهاجم الصليبيون بقيادة قسطنطين كولمان الجناح الأيمن للمسلمين والذي ضمَّ جيش حلب وقرا أرسلان صاحب حصن كيفا(ابن العديم، ١٩٦٨م، ٢ : ٣١٣؛الزوبعي. ٢٠٠٣م. ص ٢٢٨). فتظاهروا أيضا بالهرب، فتبعهم الصليبيون، فانعطف عليهم زين الدين قائد قوات الموصل بـجيشه، فقتل منهم وأسر الكثير(ابن الاثير. ١٩٨٧م. ٩ : ٤٦٩)، فلما رأوا القتلى من جيشهم أيقنوا أنهم خسروا المعركة، فلحقهم نور الدين مع من كان برفقته من المسلمين واحاط بهم من الجهات جميعها ، فتمكن من القضاءِ عليهم مما عزز له النصر(ابن العديم. زبدة الحلب. ٢ : ٣٢٠).

ومما يؤكد قوة المعركة والنصر المؤزر الذي حققه المسلمون، أن كُلَّ ملوك أعدائهم أسِروا، فقد أُسر برنس أنطاكيا، وقومس طرابلس، وأبن جوسلين، ودوق الروم(البنداري. ١٩٧٩م.ص ١٩)، وقيِّدوا بالسلاسل وسيقوا إلى حلب، وكان عددهم ستة آلاف، مع أسلحتهم ومعداتهم وخيولهم وخيامهم(سبط ابن الجوزي.٢٠١٣م.٢١: ٤٦) إلا أن الملك نور الدين محمود أطلق سراح بيلمند لقاء مبلغ كبير من المال، ومعـه عدد كبير من اسرى المسلمين(ابن الاثير.١٩٦٣م. ص ١٢٥)، و عاد الأمير قطب الدين مودود بعد انتهاء معركة حارم بجيشه الى الموصل(أبن الأثير.الكامل. ٩: ٤٦٩) .

ومـن مجريات المعركة، يتضح الدور الأساسي لقوات الموصل في عهد الأمير قطب الدين في صنع النصر، والاسهام في تدمير القوات الغازية.

لقد كان لهذه الحملات التي تجري بين نور الدين وقطب الدين من جهة، والصليبيين من جهة أُخرى دورٌ في استمرار جاهزية الجيشين ولا سيما قوات الموصل التي تقـع الى الشرق من الفرات، وإطلاعها على مواضع القوة والضعف لدى القوات المعادية وتمكينها من التعرف على الطبيعة الجغرافية لمدنٍ أُخرى، فالموقف هنا مختلف بين الموصل والشام في حالات السلم، إذ ان قوات

ISSN. 1815-8854

الشام ولا سيما قوّات حلب كانت على مقربة من خطوط المواجهة مع الصليبيين وهي أكثرُ خبرة بها، في حين كانت قوات الموصل بعيدة عن خطوط المواجهة، لكنها كانت تقوم بالالتحاق بقوات الشام للمشاركة معها في القتال عند الحاجة لا سيما في عهد قطب الدين مودود، فضلا عن أن الغزو الصليبي قد أصبح أمرا واقعا بالنسبة للزنكيين الذين هم القوة الضاربة الوحيدة في هذه الحقبة وتحركات الجيش تكون بمثابة الممارسة الحية للقتال، نظرا للمعارك المستمرة بين القوّتين(الغضنفري.٢٠٢٢م. ص١٤٤). وكان لقوات الموصل دور حيوي في المعركة من خلال:

١_ عمل وجود قوات الموصل إلى جانب قوات الشام في معركة حارم، على سد النقص في قوات نور الدين، الذي نتج عن إرسال نور الدين قسماً من قواته إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه وهو: أبو الحارث أسد الدين بن شاذي بن مروان، عم صلاح الدين الايوبي ،أحد مقدمي نور الدين محمود ومن ثقاته(ابن خلكان. ١٩٦٩م. ١ : ٤٧٩). في الحملة الاولى الى مصر في العام نفسه (٥٥٩هـ / ١١٦٤م) الذي وقعت فيه معركة حارم(ابن الاثير .١٩٦٣م. ص ١١٩)لإعادة الوزير الفاطمي شاور السعدي، وزير العاضد الفاطمي صاحب مصر(ابن الأثير. ١٩٦٣م. ص ١٢٠). إلى منصبه بعد أن أخرجه منه منازعه ضرغام وهو أحد المتنفذين في الدولة الفاطمية في مصر، والذي نافس الوزير الفاطمي شاور العدي،وتمكن من التغلب عليه والسيطرة على منصبه(ابن الأثير،١٩٨٧م، ٩: ٤٦٥) بالقوة(الدواداري.١٩٦١م.٧: ٢٦).

٢_ قامت قوات الموصل بقيادة زين الدين كوجك بإلتفاف على الصليبيين الذين لاحقوا المسلمين المتظاهرين بالهرب فقُضِيَ عليهم كما سبق ذكره.

٣ _ للموصل في عهدِ الأمير قطب الدين مودود نصيبٌ من غنائم المعركة، إذ امتلات حلب بالأسرى الصليبيين، لذا قال أبن قاضي شهبة في ذلك: " بيع الاسير بدينار، وفرقهم نور الدين على العساكر وأعطى اخاه [قطب الدين] وصاحب الحصن الاموال العظيمة والتحف الكثيرة..".(ابن قاضي شهبة. ١٩٧١م. ص ١٦٧).

و عادت قوات الموصل بعد الإنتهاءِ من معركة حارم إلى المدينة في حين توجه الملك نور الدين محمود بقواته إلى بانياس لفتحها في العام(٥٦٠هـ / ١١٦٤م)، ولم يشركهم في هذه المعركة لغرض تمويه العدو، كما أظهر انه يريد التوجه الى طبرية وهي: بليدة من أعمال الاردن، تقع بالقرب من جبل الطور وتطل على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام(

ISSN. 1815-8854

الحموي.د.ت. ٦ : ٢٣) ، وفعلا قد انطوت خطته على الصليبيين، مما دعاهم الى تقويتها وتحصينها، في حين توجه هو الى بانياس، وكان لديه معلومات بصغر القوة العسكرية الموجودة فيها، فتمكن من تحريرها وملئها بالذخيرة والرجال(ابن الاثير.١٩٦٣م. ص ١٣٠).

لم تنتهِ العلاقات العسكرية بين الموصل وحلب، بل استمر الجهاد المشترك في عهدَي قطب الدين مودود ونور الدين محمود، اذ كانت الموصل على استعداد لنصرة الشام في ايّ وقتٍ وفي أي عملٍ عسكري. ففي العام(٥٦٢هـ / ١١٦٧م)، دخلت قوات الملك نور الدين محمود والأمير قطب الدين مودود إلى المواقع الصليبية، إذ اجتازوا حصن الاكراد: وهو حصنٌ منيع على جبل يقابل مدينة حمص من جهة الغرب(الحموي.د.ت. ٢: ٣٠٤)، وكان يقطنه الداوية وهم طائفة من المقاتلين الصليبيين نذروا انفسهم لقتال المسلمين وامتنعوا عن الزواج، ولم تكن لديهم طاعة لأحد، وكانوا جميعا يملكون الحصون والاساطيل،ولهم حق المعاهدات، وجباية الضرائب، ووصفوا بانهم دولة داخل الدولة، وكانوا موضع احترام ملك بيت المقدس(ابن الفرات.١٩٦٩م. ٢ :٣٨؛ الصوري.١٩٩٠م. ٢: ٨٣٠، ٨٣٤؛عاشور. ١٩٧١م. ١ : ٥٠٠)، ولم يتمكنوا من دخوله أو محاصرته لشدة تحصينه، إلا أنهم تمكنوا من الاستيلاء على جميع ما في قراه ونواحيه، ثم ساروا إلى حصون أخرى ففتحوا بعضها بالسيف، وبعضها الآخر بالأمان، فقد توجهت قوات الموصل وحلب الى عرقة: وهي بلدة تقع شرق طرابلس، بينهما أربع فراسخ وتقع في سفح جبل، بينها وبين البحر ميل، وعلى جبلها قلعة، (البغدادي. ١٩٩٢م. ٢ : ٩٣٣)،وحلبة، وحصون العريمة وهو:موضع لبني سعد رملي وبه ماء، يقع بين موقعي أجا وسَلمى(الحموي. د.ت. ٤: ١٣٠)، وصافيتا وأسروا من فيهما وغنموا منهما(ابن قاضي شهبة. ١٩٧١م. ص ١٧٣)، وعادوا إلى حمص لإعادة تنظيم قواتهما والأستراحة وصوم شهر رمضان المبارك، ثم استأنفوا تقدمهم، وتوجهوا إلى مواقعٍ أُخرى أبرزُها قلعة هونين وهي: من القرى الفلسطينية في قضاء صفد، قرب جبال عاملة، وهي من أقوى الحصون الصليبية التي اخلاها سكانها وأحرقوها فور سماعهم باقتراب الجيوش الاسلامية منهم(البغدادي.١٩٩٢م. ٣ : ١٤٦٧).

بعد ذلك قام الملك نور الدين محمود بتكريم الامير قطب الدين مودود بإعطائه مدينة الرّقة لكي تكون بمثابة قاعدة عسكرية يقوم بشحنها بجند الموصل، لكي تكونُ جاهِزةً عند الحاجةِ إليها(ابن الاثير.١٩٨٧م. ١٠: ٦).ثم عاد قطب الدين إلى الموصل. وقام بزيارة الرقة وترتيب

ISSN. 1815-8854

أمورِها الإدارية، وتعيين نوابَه عليها(ابن الأثير.١٩٨٧م. ١٠ :٥؛ ابن قاضي شهبة. ١٩٧١م. ص ١٧). ومن المرجح أن يكون الملك نور الدين قد رأى أن امتلاك قطب الدين للرقة يمكِّنهُ من الإستعداد بشكل أكبر لإمداده في حال استدعائه وقواته، لأن الرقة مدينة تتوسط المسافة بين الموصل وحلب(أبو خليل.٢٠٠٢م.ص ١٤٠)، وهي المدينة الأنسب لأمير الموصل(الغضنفري. ٢٠٢٢م. ص١٤٧).

فضلاً عمّا تقدَّمَ فقد كان لقوات الموصل، دورٌ مهمٌّ في حملات الملك نور الدين محمود العسكرية، إذ كانت تشكّلُ تعزيزاً لقوّاتهِ، لكي يتناسب حجمُها مع قواتٍ عسكريةٍ ضخمة، جاءت من بلدان أوربية عديدة، فكان انضمام قوات الموصل إليها يزيدها قوة، كما تصدت قوات الملك نور الدين محمود للصليبيين على جبهتين، شامية ومصرية، لذلك لجأ إلى استدعاء القوات الموصلية كلما أراد الهجوم عليهم لإشغالهم عن مصر، ولأنه قام بإرسالِ جزءً كبيراً من قواتِهِ إلى أسد الدين شيركوه، عامِلِهِ على مصر، كما أنهُ استغل الظرف لمحاولة احتواء المنطقة الواقعة مابين الموصل وحلب، إذ قام بالسيطرة على الجزيرة الفراتية بأكملِها في العام(٥٦٣ هـ / ١١٦٨م)، وعاد الى منبج(.أبن قاضي شهبة. ١٩٧١م. ص ١٧٣).

ومنذ ذلك الحين، توقفت الأعمال العسكرية المشتركة بين الموصل والشام في عهد الأمير قطب الدين مودود، ولم تذكر المصادر أي عملٍ مشتركٍ بين المدينتين في تلك الأعوام إنما بقيت على أهبة الإستعداد لمساندة الشام(الغضنفري.٢٠٢٢م. ص١٤٨. و توجه الملك نور الدين محمود قسماً من قواته الى مصر، في (ربيع الاول من العام ٥٦٤هـ / شباط ١١٦٧م)، بقيادة أسد الدين شيركوه لقتال الصليبيين الذين احتلوا مصر، ولمساعدة العاضد الفاطمي العاضد الفاطمي(٥٣٦_٥٥٧هـ/١١٤١م_١١٦٢م) وهو : عبد الله ابي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري ابي الغنائم بن المهدي، حكم أحد عشر عاما وستة اشهر، و تسلم الأيوبيون الحكم في آخر ايامه ، وعادت مصر إلى ارتباطها بالدولة العباسية(الجوابرة. ٢٠٠٤ م. ص ١٤٢)في مقاومتهم، بطلبٍ منهُ(ابن كثير.١٩٩٠م. ١٢ : ٢٦٤).

ISSN. 1815-8854

الخاتمة

لقد اتضح من خلال البحث أن الموصل في عهد الأمير قطب الدين مودود كانت من خيرة حواضر الإسلام كما في عهد الأميرين عماد الدين زنكي و سيف الدين غازي من النواحي كافة، ولا سيما من الناحية السياسية، فكان عهده من بين العهود التي شهدت أوجِ قوة الدولة الزنكية، إذ أحسن إدارتها وتدبيرِ أمورها، وعلى الرغمِ من خصومهِ السياسيين وإن كانوا قِلة، إذ أن بعض نواب سنجار لم يكن ولائهم له، كما كان للأميرِ سيف الدين غازي، مماجعلهم يميلون للتعاون مع الملك نور الدين محمود الذي كان يحكم الشام وأيثارِهِ عليهِ فيما يخص حكم سنجار. إلاّ أن ذلك لم يتسبب في إثارة الفرقة بين الإثنين، وإنما على العكسِ من ذلك بقيت العلاقة بين الأخوين وحواضرهما بوضعٍ جيد، وتم القضاءُ على كُلِّ ما من شأنِهِ خلق الفرقة بينهما، إنما قاد الملك نور الدين محمود الحملات العسكرية ضد الصليبين لوحدِه، إلاّ أنه وفي العام (٥٥٩هـ/١١٦٤م) تطورت العلاقات بين الموصل والشام وقامت الموصل بمساندة الشام عسكرياً في التصدي للحملات الصليبية، وتحرير العديدِ من المدنِ والحصون بدءً بحصن حارم في العام المذكور. لذا قام الملك نور الدين بمنح المكافآت للأميرِ قطب الدين لمشاركة الموصل في الحملات العسكرية المساندة للشام سواء كان ذلك من خلال الغنائِم، أو الإقطاعات. وبقيت علاقات الموصل في عهد الأمير قطب الدين مودود مع الشام على خيرِ ما يرام حتى وفاتِه.

قائمة المصادر والمراجع

١_ ابن الاثير. ١٩٦٣م. ابو الحسن علي بن ابي الكرم عز الدين محمد بن محمد الشيباني. (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) التاريخ الباهرفي الدولة الاتابكية بالموصل. تحقيق عبد القادر احمد طليمات. بغداد. مكتبة المثنى.

٢_ ابن الأثير. ١٩٨٧م. ابو الحسن علي بن ابي الكرم عز الدين محمد بن محمد الشيباني.الكامل في التاريخ. بيروت.دار الكتب العلمية.

٣_ البغدادي. ١٩٩٢م.صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)،مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع. تحقيق علي محمد البجاوي. بيروت. دار الجيل.

٤_ البنداري. ١٩٧٩م. الفتح بن علي بن محمد. (ت ٦٤٣هـ /١٢٤٥م). سنا البرق الشامي. تحقيق فتحية النبراوي. القاهرة. مكتبة الخانجي.

ISSN. 1815-8854

٥_ التكريتي.د.ت. محمود ياسين احمد. الايوبيون في شمال الشام والجزيرة ٥٦٤ _ ٦٤٨هـ / ١١٦٨_١٢٥٠م. بغداد ، المكتبة الوطنية.

٦_ الجميلي. ١٩٧٠م .رشيد عبد الله. دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ٥٢١_٦٣١هـ. بيروت. دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٧_ الجوابرة. ٢٠٠٤ م. فاطمة محمود. موسوعة الخلفاء الفاطميين والعثمانيين.عمّان. دار الصفاء للنشر والتوزيع.

٨_ الحموي. د.ت. ياقوت شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان.ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م. تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. بيروت، دا الكتب العلمية.

٩_ ابن خلكان. ١٩٦٩م.ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر.ت٦٨١هـ /١٢٨٢م. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. تحقيق احسان عباس.بيروت. دار صادر.

١٠_ ابو خليل. ٢٠٠٢م. شوقي.أطلس التاريخ العربي الاسلامي.دمشق.دار الفكر.

١١_خليل.١٩٧١م.عماد الدين زنكي.بيروت. الدار العلمية.

١٢_الدواداري. ١٩٦١م. أبو عبد الله بن ايبك.(م.و).كنز الدرر وجامع الغرر. القاهرة. مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر.

١٣_الذهبي. ٢٠٠١م.شمش الدين محمد بن احمد بن عثمان.(ت٧٤٨هـ /١٣٤٧م). سير اعلام النبلاء تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي.بيروت. الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤_ زكار. ١٩٩٥م. سهيل. موسوعة الحروب الصليبية. (مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية). تحقيق وترجمة سهيل زكار.دمشق.بلا.

١٥_ الزوبعي. ٢٠٠٣م. محمود فياض حمادي حسن. المقاومة العربية الاسلامية للغزو الصليبي حتى معركة حطين. اطروحة دكتوراه.بغداد.جامعة بغداد. كلية التربية ابن رشد .

١٦_ سبط ابن الجوزي. ٢٠١٣م.شمس الدين أبي المظفر يوسف.(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان.تحقيق ابراهيم الزيبق.بيروت. دار الرسالة العلمية.

١٧_ الصوري. ١٩٩٠م.وليم.الحروب الصليبية(الاعمال المنجزة وراء البحار). ترجمة سهيل زكار. بيروت. بلا.

ISSN. 1815-8854

١٨_عاشور. ١٩٧١م.سعيد عبد الفتاح.الحركة الصليبية.القاهرة.المكتبة الانجلو مصرية.

١٩_ابن العديم. ١٩٦٨م. كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله.(ت٦٦٠هـ /١٢٦٢م). زبدة الحلب. تحقيق سامي الدهان.دمشق.المعهد الفرنسي.

٢٠_ عمران. ١٩٨٧م. مهدي سعيد. التحالف البيزنطي الارمني ضد نور الدين زنكي ١١٦٤م/ ٥٥٩هـ. بحث منشور. بغداد. مجلة المؤرخ العربي. الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

٢١_ ابو الفداء. د.ت. عماد الدين اسماعيل بن محمد المعروف بصاحب حماه(ت٧٣٢هـ /١٣٣١م).تقويم البلدان.مدريد ، مطبعة ليدن.

٢٢_ ابن الفرات. ١٩٦٩م.محمد بن عبد الرحيم.(ت٨٠٧هـ / ١٤٠٤م). تاريخ ابن الفرات. تحرير حسن محمد الشماع.البصرة.دار الطباعة الحديثة.

٢٣_ أبن قاضي شهبة. ١٩٧١م. بدر الدين ابو الفضل محمد بن تقي الدين.(ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م). الكواكب الدرية في السيرة النورية. تحقيق محمود زايد. بيروت، دار الكتاب الجديد.

٢٤_ ابن القلانسي.د.ت.ابو يعلي حمزة.(ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)ذيل تاريخ دمشق.القاهرة. مكتبة المثنى. د . ت.

٢٥_ ابن كثير. ١٩٩٠م. عماد الدين ابي الفداء.(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية.بيروت.مكتبة المعارف.

٢٦_ابن واصل. ١٩٥٧م. جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل.(ت٦٩٧هـ /١٢٩٨م).مفرج الكروب في اخبار بني ايوب. تحقيق جمال الدين الشيال. القاهرة. المطبعة الاميرية.

٢٧_ طقوش. ١٩٩٩م.محمد سهيل. تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام.بيروت. دار النفائس للنشر.

٢٨_ الغضنفري. ٢٠٢٢م. صهيب حازم عبد الرزاق العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية(٥٢١_٥٧٩هـ/١١٢٧_١١٨٣م). الموصل.دار نون للطباعة والنشر.

٢٩_كارين. ٢٠٠٥م. ارمسترونغ. الحرب المقدسة. الحملات الصليبية على العالم اليوم. بيروت. دار الكتاب العربي.

٣٠_ العسلي. ١٩٨٧م. بسام. الايام الحاسمة في تاريخ الحروب الصليبية.بيروت ، دار النفائس للنشر.

ISSN. 1815-8854

٣١_ ال فتاح. ٢٠١٠م. شكيب راشد. صورة نور الدين محمود في كتاب تاريخ الرهاوي المجهول. بحث منشور. مجلة التربية والعلم. جامعة الموصل. كلية التربية.

٣٢_آل فتاح. ٢٠١١م.شكيب راشد. الموصل ودورها في التصدي للغزو الصليبي.الموصل.مكتبة الجيل العربي.

List of Sources in English

1 _Ibn Al-Atheer. 1963 AD. Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam Izz Al-Din Muhammad bin Muhammad Al-Shaybani. (d. 630 AH / 1232 AD) The brilliant history of the Atabeg state in Mosul. Verified by Abdul Qadir Ahmed Tulaimat. Baghdad. Al-Muthanna Library.

2 _Ibn Al-Atheer. 1987 AD. Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam Izz Al-Din Muhammad bin Muhammad Al-Shaibani. Al-Kamil fi Al-Tarikh. Beirut. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

3 _Al-Baghdadi. 1992 AD. Safi al-Din Abd al-Mu'min bin Abd al-Haqq (d. 739 AH / 1338 AD), Observatories for examining the names of places and places. Investigated by Ali Muhammad Al-Bajawi. Beirut. House of generation.

4 _Al-Bandari. 1979 AD. Al-Fath bin Ali bin Muhammad. (d. 643 AH / 1245 AD). Sana Al-Barq Al-Shami. Verified by Fathia Al-Nabrawi. Cairo. Al Khanji Library.

5 _Al-Tikriti.dt. Mahmoud Yassin Ahmed. The Ayyubids in the northern Levant and the Peninsula 564-648 AH / 1168-1250 AD. Baghdad, National Library.

6_ Al-Jumaili. 1970 AD. Rashid Abdullah. The Atabeg State in Mosul after Imad al-Din Zengi 521-631 AH. Beirut. Arab Renaissance House for Printing and Publishing.

7 _Al-Jawabara. 2004 AD. Fatima Mahmoud. Encyclopedia of the Fatimid and Ottoman Caliphs. Amman. Dar Al-Safaa for Publishing and Distribution.

8 _Al-Hamwi. D.T. Yaqut Shihab al-Din bin Abdullah, Mu'jam al-Buldan, d. 626 AH/1229 AD. Verified by Farid Abdel Aziz Al-Jundi. Beirut, Da Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

9_Ibn Khalkan. 1969 AD. Abu Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abi Bakr. D. 681 AH / 1282 AD. Deaths of notables and news

ISSN. 1815-8854

of the sons of the time. Verified by Ihsan Abbas, Beirut. Dar Sader.

10 _Abu Khalil. 2002 AD. Shawqi. Atlas of Arab-Islamic History. Damascus. Dar Al-Fikr.

11_Khalil. 1971 AD. Imad al-Din Zenki. Beirut. Scientific House.

12_Al-Dawadari. 1961 AD. Abu Abdullah bin Aybak (M.W.): Treasure of pearls and collector of gharar. Cairo. Authorship, Translation and Publishing Committee Press.

13_Golden. 2001 AD. Shamsh al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman. (d. 748 AH / 1347 AD). Biography of the Noble Media, edited by Shuaib Al-Arnaout and Muhammad Naeem Al-Arqsusi, Beirut. Al-Resala for printing, publishing and distribution.

14 _Zakkar. 1995 AD. Suhail. Encyclopedia of the Crusades. (Introduction to the history of the Crusades). Edited and translated by Suhail Zakkar. Damascus. Without.

15 _Al-Zubaie. 2003 AD. Mahmoud Fayyad Hammadi Hassan. The Arab Islamic resistance to the Crusader invasion until the Battle of Hattin. Doctoral thesis, Baghdad, University of Baghdad. College of Education Ibn Rushd.

16 _The tribe of Ibn al-Jawzi. 2013 AD. Shams al-Din Abi al-Muzaffar Yusuf (d. 654 AH/1256 AD). The Mirror of Time in the Histories of Notables. Verified by Ibrahim Al-Zaybak. Beirut. House of scientific message.

17 _Al-Suri. 1990 AD. William. The Crusades (Deeds Accomplished Overseas). Translated by Suhail Zakkar. Beirut. without.

18_Ashour. 1971 AD. Said Abdel Fattah. The Crusader Movement. Cairo. The Anglo-Egyptian Library.

19_Ibn Al-Adeem. 1968 AD. Kamal al-Din Abi al-Qasim Omar bin Ahmed bin Hibatullah (d. 660 AH / 1262 AD). Milking butter. Verified by Sami Al-Dahan, Damascus, French Institute.

20 _Imran. 1987 AD. Mahdi Saeed. Byzantine-Armenian alliance against Nur ad-Din Zengi 1164 AD / 559 AH. Published research. Baghdad. Arab Historian Magazine. General Secretariat of the Union of Arab Historians.

ISSN. 1815-8854

21 _Abu Al-Fida. D.T. Imad al-Din Ismail bin Muhammad, known as the Sahib of Hama (d. 732 AH / 1331 AD). Calendar of Countries. Madrid, Leiden Press.

22 _Ibn al-Furat. 1969 AD. Muhammad bin Abdul Rahim (d. 807 AH / 1404 AD). History of Ibn al-Furat. Edited by Hassan Muhammad Al-Shamaa. Basra. Modern Printing House.

23 _Ibn Qadi Shahba. 1971 AD. Badr al-Din Abu al-Fadl Muhammad bin Taqi al-Din (d. 874 AH / 1469 AD). Al-Kawkab Al-Durri in the Biography of Al-Nour. Verified by Mahmoud Zayed. Beirut, New Book House.

24 _Ibn al-Qalanisi. D. T. Abu Yali Hamza. (d. 555 AH / 1160 AD). Appendix of the History of Damascus. Cairo. Al-Muthanna Library. Dr . T.

25 _Ibn Kathir. 1990 AD. Imad al-Din Abi al-Fida (d. 774 AH/1372 AD). The Beginning and the End. Beirut. Knowledge Library.

26_Ibn Wasil. 1957 AD. Jamal al-Din Muhammad bin Salem Ibn Wasil. (d. 697 AH / 1298 AD). Mufarrej al-Karub fi Akhbar Bani Ayyub. Verified by Jamal al-Din al-Shayyal. Cairo. The princely printing press.

27 _Taqoush. 1999 AD. Muhammad Suhail. History of the Zengid in Mosul and the Levant. Beirut. Al-Nafaes Publishing House.

28 _Al-Ghazanfari. 2022 AD. Suhaib Hazem Abdel Razzaq, Relations between Mosul and Aleppo in the era of the Zengid Atabekids (521_579 AH / 1127_1183 AD). Mosul. Dar Noun for Printing and Publishing.

29_Karen. 2005 AD. Armstrong. Holy war. Crusades on the world today. Beirut. Arab Book House.

30 _AL Asaly. 1987 AD. Bassam. Decisive days in the history of the Crusades. Beirut, Al-Nafais Publishing House.

31 _Al-Fattah. 2010 AD. Shakib Rashid. A picture of Nour al-Din Mahmoud in the book The History of the Unknown Rahawi. Published research. Education and Science Magazine. University of Al Mosul. Faculty of Education.

32_Al Fattah. 2011 AD. Shakib Rashid. Mosul and its role in confronting the Crusader invasion. Mosul. Arab Generation Library.